واننا سنعود بعد الى مناقشة الباحث في مقاله الثالث وما فيه من تناقض وقد رأيناه آخراً ذكر المواد التي استقى منها ولم يذكر المحاضرة التي اشرنا اليها والتي حاضر بها صاحبها في مؤتمر المستشرقين بفاس بلد الباحث وطبعتها هاته المجلة في ذيلها وعلق عليها كثير من المجلات خارج المغرب .

وقبل أن أضع القلم أقول لصاحب مقال ناقش الباحث فيه وعنون عن نفسه بـ « ا غ » ونشرته المجلة مع المقال الثالث بعدد ذي الحجة انه أراد أن يشوي فرمد وانه زعم ان مدنية العرب لم تكن بمدنية الادب الذي هو مدنية كاذبة أقول له أن العرب كانوا أهل ادب وأي ادب بعد ادب العرب ومدنية العرب مدنية ادب واخلاق لا مادة وأي ادب بعد القرآن وجوامع كلم الرسول وشعر الجاهلية وشعر المخضرمين فمن بعدهم وخطب الصحابة واشعارهم وخطب المولى ادريس وشعر ابنائه هل نسي « ا غ » المعلقات واسواق العرب ودواوين الجاهلية وشعر حسان على المنبر بالمسجد النبوي وشعراء النبي صلى الله عليه وسلم وشعراء الصحابة واجازة النبي على الشعر ومحاكمة الشعراء لدى عمر بن الخطاب والادب على عهد بني امية والادب على عهد بني العباس أما المبدأ الذي جعله « ا غ » للادب العربي وهو عصر المعتصم فهو مبدأ انحطاطه وقد جمع جابي زادة علي فيهم شعراء الصحابة في جزء وبلغ عددهم نحو الستين ممن وصلت اليه يده وقد جمعت لهم دواوين عديدة وجمعت مطارحات جرير والفرزدق فقط في اجزاء والادب في القرون الاولى في الاسلام بحر لا ساحل له وقد بلغ اذ ذاك عدد العلماء والفلاسفة واقطاب الحضارة العلمانية عدداً يقف عنده الحد .

محمد المهدي الحجوي

***

ردود — بلغنا رد آخر في موضوع « نشأة الادب العربي بالمغرب » ليس فيه زائد عما تناوله المقال اعلاه ، فلا نرى فائدة في نشر الرد المذكور ، ونرجو من الكاتب الفاضل السيد ابن ادريس ان يتابع بحثه القيم ، وكذلك بلغتنا ردود عن «لذعات» ابن عباد ، وقد تناول ابن عباد شعراء من طبقات مختلفة وبقي له بحث شاعر يجمع الى الثقافة العربية ثقافة غربية وبذلك يكون اتم البرنامج الذي تكفل به في الموضوع ، ففي هذا العدد سننشر احد الردود ثم ننشر بعد رداً بلغنا عن عدد حجة وأيضاً النقد الباقي لابن عباد مع ما يرد من رد — ان كان — ونقفل هذا الباب تماماً لنشتغل بغيره .

في النقد الادبي

« الاعشاب »

وأود من حضرات اطبائنا المحترمين — وحتى المتطببين منهم — ان لا يصيخوا باسماعهم لهذه المفاجأة الجريئة ولا يرهفوا آذانهم حين يسمعون لفظة الأعشاب ، فليس لنباتاتهم الطفيلية هنا من محل ! وليس من قصدنا تحليل مفرداتهم الطبية ، وانما هو « الاعشاب » اسم اختاره الشاعر محمود أبو الوفا لديوانه الجديد الذي طلع به علينا في المدة الاخيرة .

ولم نكن لنتعرض لاسم الديوان لو لم يعن الشاعر نفسه في مقدمة الكتاب ببيان فكرته في اختيار هذا العنوان «الاعشاب» كما يقول : « في هذا الكتاب طائفة من الشعر يرتفع الفن في بعضها اكثر منه في البعض الاخر ...» ولعله كان يريد ان يقول : ان ديوانه هذا كمجموعة من الاعشاب ، فيها الجيد الثمين الذي لا يقاس بقيمة وفيها ما دون ذلك مما ينزل احيانا الى حد الكلام المبتذل غير المستساغ ، ولكنه يغطي على ذلك بهذا الاسلوب الادبي فيعترف ان فيه طائفة من الشعر يرتفع الفن في بعضها اكثر من الآخر .

والواقع ان ديوانه هذا سجل لحياته الادبية في حقبة من الدهر ، عرض فيه صوراً فنية رائعة ارتفع فيها الى حد الابداع كما عرض صوراً اخرى فيها اسفاف وفيها ابتذال ، ونحسب ان الشاعر كان يروض نفسه ، وهو متأثر بظروف خاصة على القريض وفي الوقت الذي تكون نفسه عصية عليه جامحة فيراودها ولا يزال يراودها حتى تجود عليه بالقطعة من الشعر وهي على ذلك أبعد ما تكون عن الشعر وتناول الشعر .

ولعله يلوّح الى هذا الذي اشرنا اليه حيث يقول :
«... وفيه ما قصدت به الى ترضية الناس ، وفيه ما لم أقصد منه الا وجه الفن وحده ، وكما فيه شعر يستمد روحه من الواقع على سطح هذه الارض كذلك يوجد شعر آخر لا يستمد وحيه الا من معانيه المتصلة بأعمق أعماق الحياة... » فلو أنه قصد الى ترضية الفن ، والفن وحده ، لما وقع في ذلك الابتذال المعيب .

لعل أول ما يفجأك حين تقلب صفحات الديوان هو ذلك الغزل المقيت الذي تفتتح به قصائد المدح واشباه المدح والذي نبت عنه الاسماع ومجته الاذواق فلم يعد بها من حاجة اليه ولا هي تستطيع أن تستسيغه مهما أرهفت ومهما كلفها الامر : في عصر تحال فيه الشعر من هاتيك التقاليد العتيقة التي اخنى عليها الدهر وتحرّر حتى كاد يبلغ الاباحية ، واليك ما يقول في قصيدة قدمت للاستاذ مصطفى عبد الرازق استاذ الفلسفة الاسلامية بالجامعة المصرية :

يا قلب ويحك قد أسرفت فاتئد
كم ذا وفيت ، وما جوزيت من أحد
عللتني في غد تسلو ، وفات غد
فما لك ازددت عما كنت ، قبل غد
يا لائمي في الهوى (!) دعني وما خلقت
روحي له ، ليس امري في الهوى بيدي !!
رضيت حظي لولا أن من عشقوا
جميعهم وردوا ، ألامي لم أرد
ما بال من جرحت الحاظه كبدي
يأبى يضمدها ، أواه يا كبدي

ثم يتخلص الى مدح الاستاذ عبد الرازق في برودة قاتلة ومن دون أن تكون هناك أية رابطة ، فاستمع اليه يقول بعد الغزل والتشبيب ! :

جعلت جاهك لي يا مصطفى عضدا
انعم به بعد عون الله من عضد !
للطير فيه غناء عن قوادمها
وفيه للاسد ما يغني عن اللبد

وهو على هذا الاسلوب من المدح يبالغ في الاطراء ويغلو في هذه المبالغة الى حد الاغراب ، يقول من قصيدة في تكريم المرحوم امير الشعراء :

إيه شوقي أمن سمائك هذا أم لجبريل ينسب الاملاء
بأبي أنت لو بعثت رسولا لقضى الخلف في الورى والعداء

ولعل مما يوخذ على الشاعر أيضاً حشده للصور الكثيرة المزدحمة في ذهنه ، واستمع الى هذه القطعة :

هـا هما عيناك تغريـــني على شتى الظنون
فيهما بحر وموج وسهول وحزون
ووضوح وغموض واضطراب وسكون

وفي باب الرثاء نجده اشبه ما يكون بشعراء القرن الثالث والرابع فبدل أن يتخذ من جلات الموت ومن جهاد الميت وبطولته عبرة تستفز النفوس وتستثيرها لاسترداد مجدها الضائع ، بدلا من ذلك ياخذ الشاعر في تعداد مناقب ذلك المرثيّ فيقول لنا ـ مثلا ـ في قصيدة «فيصل العظيم» : المليك ـ الحسيب ـ الكريم ـ الوفي ـ الشجاع ، ومن الظلم ان نقتطف منها أبياتاً للاستشهاد ولكننا نؤثر ان يرجع القارئ الى جملتها فيعلم صدق ما قلناه .

وهو بعد ، يثور على قواعد النحو واللغة احياناً ولا يبالي في ذلك ، وهذا عيب كبير اصيب به الشعراء الشرقيون الذين لم يستكملوا حظهم من الثقافة العربية ، وارجع ان شئت الى البيت السابق :

هـا هما عيناك تغريـــني على شتى الظنون

ولست أدري أيصح ان يعود الضمير في تغريني مفرداً

على عيناك المثنى ، ونظن أن الصواب ان يقول : تغريانني ويقول في قصيدة رثاء فيصل :

فقدت اكرم البنين عليها واعز الكرام آباً وجدا

آباً هكذا بشد الباء ، وانا لنسائل الاصمعي وأبا عبيد : أكان العرب يجيزون ألابَّ في الاب ؟

وبعد فهذه الملامة الفت نظرنا اليها حين مرورنا على الديوان مرا .

ولعله ليس من الانصاف ولا من الاخلاص للادب أن نعرض لنقد الكتاب فنقتصر على احدى الناحيتين من دون أن نشير الى الناحية الاخرى التي يجلى فيها علينا تلك الصور الرائعة ويسمو الى حد الابداع ، واذ ذاك نكون قد وفيناه حقه ووقفنا وسطا ، ولعل الانسان لا يستطيع الا ان يعجب ولا يملك نفسه من الاعجاب بمطلع قصيدته في تكريم شوقي :

هل يهزّ الملائك الاطراء !
ليت شعري وأين منه الثناء؟
طار بي الحب في السماء لعمري
ليس فيها لمثل نجمي ضياء

ولا إخال إلا ان كل من قرأ هذا المطلع المشرق الديباجة ـ كما يقولون ـ ستسمو نفسه وتسمو حتى تحاق في اجواء الفضاء وسيجد فيها خفة وطربا ، ثم اسمعه يقول :

كلمات كأنهن نجوم
وقوافٍ كأنهن الماء
بينما هن في الصحائف رسل
فاذا هن في القلوب اداء !

والابداع في البيت الثاني لا حد له ، ويقول :

برهن الشرق انه عاد حيا
حين عادت تكرم الشعراء
واذا ما الشعوب سادت نفوساً
ساد فيها البيان والانشاء
بشر القوم فالحياة شعور
حيثما كان ، كانت الاحياء
خالد الشعر سوف يبقى مرايا
تجتلى في صفائها الاشياء

ويقول حين عودة جلالة الملك فؤاد من رحلته في اروبا «التي كانت أفضل دعاية لرقي مصر والمصريين وتبرئة لسمعتهم عند الاروبيين الذين يعتقد اكثرهم ان المصريين افريقيون يلبسون الجلود » :

قلدت شعبك يابن اسماعيلا
مناً جرت في جنب نيلك نيلا
برّأت سمعته من التهم التي
نسج العدوّ شباكها تضليلا
وجلوت مصر لعين اوربا كما
شاءت وشئت لشعبها تفضيلا
في مظهر ، كجلال تاجك ، دونه
يرتدّ طرف الحاسدين كليلا
ومناعة ، كحمى جنابك ، عندها
يقع الاعز من الخضوع ذليلا
فرفعتها بين الشعوب ، ولم يزل
خلق الملوك على الشعوب دليلا

ففي هذه القطعة نجد الشاعر يسجل هذه الحادثة الخطيرة التي من ورائها آمال المصريين جميعاً ، في دقة واحكام لا مزيد عليهما ويرسل آيات سحره التي تنفذ الى القلوب من غير استيذان ، واستمع اليه ايضاً يقول في قصيدة «الشهيدان »(١)

(١) هما الطياران حجاج ودوس ، وهما أولا طائرين مصريين استشهدا في الجو .

رمتهـا صلحاً فرامتني خصاما
يا زمان السوء ، بالسوء الى ما ؟
قيل حظٌّ ، قلت : آمنا به
من عتيٍّ جار في الناس احتكاما
مـا عليه لو سقانا بالتي
راح يختصّ بها القوم الكراما ؟
أو لم نبن على احسابنـا
ونحط المجد آمالاً جساما ؟...

وفي ختام هذه الكلمة نتوجه الى شعرائنا المحترمين ونسائلهم سبب احجامهم عن اخراج دواوينهم التي لاشك انها ستكون ممتعة والتي سيستفيد منها الادب وتغذي عقول الناشئة وناشدهم رحم الادب ان يستمعوا لصوت الواجب الادبي والوطني فيفتحوا سوق الادب لرواج منتوجاتهم الخصبة ، ونحن نربأ بهم عن الظن بأن السبب في هذا الاحجام هو عدم احتمالهم للنقد الادبي الذي هو في الحقيقة اكبر مشجع لرواج سوق الادب وفي الوقت نفسه الحارس الامين لسوق الادب ان يدخل اليه الزائف من القول ، ولعلهم بعد هذه الذكرى فاعلون ان شاء الله . وانا لمنتظرون...

أبو الطيب

جمعية قدمـاء الادريسية

عقدت في المدة الاخيرة جمعية قدماء مدرسة مولاي ادريس بفاس اجتماعاً عاماً لانتخاب لجنة ادارية للسنة الجديدة فترأس الجمع الرئيس السيد المهدي المنيعي الذي ذكر قدماء التلامذة بموت سعادة المريشال ليوطي ذلك السياسي الخطير الذي قام بخدمات جليلة نحو المسلمين وترجى السيد المهدي المنيعي من زملائه أن يفكروا دقيقة زمنية لذكرى المريشال ومن بعد وقعت تلاوة التقرير الادبي والتقرير المادي ثم شرع المجلس في انتخاب لجنة ادارية فكانت النتيجة ما يلي : للرياسة السيد محمد الزغاري ، للخلافة السيد المهدي المنيعي بالرغم من طلبه الراحة ، للكتابة العامة السيد محمد جسوس ، للنيابة فيها السيد محمد الجواندي ، لامانة الصندوق السيد الحسن بن جلول ، للمحافظة على الخزانة احمد بناني .

(السعادة)

اساء سمعاً فاساء جابة

أشرنا في مقالنا المترجم (ليس بعشك فادرجي) بقولنا : (ولا اخال ابن عباد هذا من آل عمرو ذي الطوق) الى أن الناقد الذي لا يعرف من العربية والنقد الا مـا ياكل به خبزه من لحوم الافاضل وأن وقع بابن عباد لا يظهر أنه من آل عباد ملوك اشبيلية وانهم من سلالة عمرو بن عدي بن نصر الذي قال خاله جذيمة الابرش بن مالك ابن فهم الازدي صاحب الزباء وملك الحيرة لاخته رقاش لما طوقته طوقاً من ذهب كبر عمرو عن الطوق هكذا في القاموس ، وفي العباب والامثال لأبي عبيد : والمشهور شبّ عمرو عن الطوق كما في أكثر الامثال ، قال بلدينا النسابة البدوي في منظومته يذكر نسب بني عباد وملكهم في الاندلس وزواله على يد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني :

وآل عبـاد ملوك الاندلس — من نسل ذي الطوق وغالها الندس
يوسف الاعدل ابن تاشفين — الحميري ثم من لمتون

واليك مورد هذا المثل كما حكاه مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي في قاموسه لاننا لا نترك الفرص لخدمة اللغة لغة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ولسان أهل الجنة قال : (وكبر عمرو عن الطوق يضرب للابس ما هو دون قدره وهو عمرو بن عدي وكان خاله جذيمة جمع غلماناً من أبناء الملوك يخدمونه منهم عدى وكان جميلاً فعشقته رقاش أخت جذيمة فقالت له اذا سقيت الملك فسكر فاخطبني اليه فسقى عدي جذيمة وألطف له فلما سكر قال له سلني ما أحببت فقال زوجني رقاش أختك فقال قد فعلت فعلمت رقاش أنه سينكر اذا أفاق فقالت للغلام ادخل على أهلك ففعل وأصبح في ثياب جدد وطيب فلما رآه جذيمة قال ما هذا قال أنكحتني أختك البارحة فقال ما فعلت وجعل يضرب وجهه ورأسه وأقبل على رقاش وقال :

حدثيني وأنت غير كذوب — أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد وأنت أهل لعبد — أم بدون وأنت أهل لدون

قالت زوجتني كفؤاً كريماً من أبناء الملوك فأطرق جذيمة فلما اخبر عدي بذلك خاف فهرب ولحق بقومه ومات هنالك وعلقت منه رقاش فأتت بابن سماه جذيمة عمراً وتبناه وأحبه حباً شديداً وكان